خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٦/٥/٢٢

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

لقد ذكرتُ في الخطبة الماضية صفة التواضع والانكسار من سيرة النبي ﷺ واليوم أيضا سأتابع الموضوع نفسه وأبين كم من معايير التواضع السامية التي أحرزها ﷺ، فكان يبدي ذلك من خلال سرد الأمور البسيطة الصغيرة، فعَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ". (شعب الإيمان للبيهقي)

أي ليس في نفسي كِبر الرؤساء والزعماء والرياءُ والإعجاب بالنفس، وكذلك ورد في رواية أخرى: عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: كَانَتْ نَاقَةٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ تُسَمَّى العَضْبَاءَ، وَكَانَتْ سريعة لَا تُسْبَقُ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ[1] لَهُ فَسَبَقَهَا، فَاشْتَدَّ ذَالِكَ عَلَى المسْلِمِينَ، وَقَالُوا: سُبِقَتِ العَضْبَاءُ، (وأنت سبقتَ، حين كانت تُسبق كان ينبغي أن تمسك ببعيرك لأنها ناقة النبي ﷺ) فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (تعليقا على موقفهم) «إِنَّ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ لَا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَه» (صحيح البخاري كتاب الرقاق). فهذا من عادة الله، لذا لا داعي للغضب على ذلك، إذ ترتفع الأشياء وتنخفض. عامة الناس يغضبون من مثل هذه الأمور لكن النبي ﷺ كان أمامه اللهُ دوما، وكان يريد أن يُظهر للدنيا علوَّه. فقد قال بمنتهى التواضع لا داعي لإبداء الغضب، إذ قد ظهرت رفعة الله.

ثم هناك مثال آخر في قول سيدنا عمر، فعَنْ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: اسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْعُمْرَةِ، فَأَذِنَ لِي، وَقَالَ: "لَا تَنْسَنَا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعَائِكَ"، فَقَالَ عمر رضي الله عنه قد قال ﷺ كَلِمَةً مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي بِهَا الدُّنْيَا. (سنن أبي داود كتا ب الصلاة)

لقد جعل الله تعالى الصلاة عليه ﷺ ضروريا، وجعلها شرطا لتقبُّل الدعاء، فمن منتهى تواضعه أنه طلب الدعاء من أحد مريديه.

---

[1] قعود: جمل صغير فتي.

لم يكن ﷺ يجد عارا في إنجاز أي عمل، فكان ينجز أصغر عمل بنفسه، ويريه الآخرين ليعلّمهم. فقد ورد في رواية عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قال، مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِغُلَامٍ يَسْلُخُ شَاةً، فَقَالَ لَهُ: «تَنَحَّ حَتَّى أُرِيَكَ، فَإِنِّي لَا أَرَاكَ تُحْسِنُ تَسْلُخُ»، قَالَ: فَأَدْخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ بَيْنَ الْجِلْدِ وَاللَّحْمِ، فَدَحَسَ بِهَا[٢] حَتَّى تَوَارَتْ إِلَى الْإِبْطِ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «هَكَذَا يَا غُلَامُ فَاسْلُخْ». (صحيح ابن حبان)، فقد أنجز عمله كله وعلَّمه أيضا.

وهناك رواية ورد فيها كيف كان ينجز أعمال الآخرين بتواضع، عَنِ ابْنَةِ خَبَّابٍ ﷺ، أَنَّهَا أَتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِشَاةٍ (ليحلبها لها)، فَاعْتَقَلَهَا، فَحَلَبَهَا، وَقَالَ: «ائْتِينِي بِأَعْظَمِ إِنَاءٍ لَكُمْ» (وكانت قد أحضرت إناء صغيرا فطلب منها ﷺ الإناء الأكبر منه) فَأَتَيْنَاهُ بِجَفْنَةِ الْعَجِينِ فَحَلَبَ فِيهَا حَتَّى مَلَأَهَا ثُمَّ قَالَ: «اشْرَبُوا أَنْتُمْ وَجِيرَانُكُمْ» (فمن المؤكد أنه قد خطر بباله ﷺ أن الحليب زاد كثيرا ببركة دعائه، فقال لها أن تقدم هذه البركة للآخرين أيضا، فكان ما حلب ضعفي الحليب المعتاد). (مسند أبي داود الطيالسي)

نجد أسمى أخلاقه بخصوص إلقاء السلام والجلوس في المجلس بتواضع، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا اسْتَقْبَلَهُ الرَّجُلُ فَصَافَحَهُ لَا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ الَّذِي يَنْزِعُ، وَلَا يَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنْ وَجْهِهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَصْرِفُهُ وَلَمْ يُرَ مُقَدِّمًا رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسٍ لَهُ» (سنن الترمذى)

وعَنْ أَبِي الْمُثَنَّى الْأَمْلُوكِيِّ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَمِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يَمْشُونَ عَلَى الْعَصَا، يَتَوَكَّؤُونَ عَلَيْهَا، (فلم يكونوا يحملون العصا لفرض الهيبة أو إظهارا للكِبر بل كان) تَوَاضُعًا لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ. (وكان النبي ﷺ أكثرهم تواضعا) (سبل الهدى)

وكان ينصح بالتحلي بالتواضع أيضا بحكمة، فعن بن حزن قال افتخر أهل الإبل والشاة وتباهَوا، (إذ كان أصحاب الإبل وكان عندهم إبل كثير يقولون نحن أكثر منكم عددا ومالا، وكان أصحاب الشياه يقولون نحن أكثر)، فتوجه رسول الله ﷺ إلى مكان التفاضل والنقاش، فقال: "بُعث موسى عليه السلام (نبيا) وهو راعي غنم وبعث داود عليه السلام (نبيا) وهو راعي غنم وبعثت أنا (نبيا وكنت) أرعى غنما لأهلي بأجياد". (السنن الكبرىٰ للنسائي)

فقد نصح الذين كانوا يُبدون الفخر، وواسى أصحاب الشياه الذين كانوا يُستصغَرون. أما أجياد فكان مكانا قرب الصفا في مكة، ويقال له جياد أيضا.

لم يفتخر ﷺ قط، وكان يقابل الفقراء بتواضع ويواسيهم، فعن أنس بن مالك، أن رجلا من أهل البادية يقال له زاهر، كان يُحضر للنبي ﷺ شتى الهدايا من البادية، فيجهزه رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج، فقال رسول الله ﷺ : «إن زاهرا بادينا، ونحن حاضروه»، قال: فأتاه النبي ﷺ وهو يبيع متاعه، فاحتضنه

---

[٢] دحس بها : دفع بيده.

من خلفه والرجل لا يبصره، فقال: أرسلْني من هذا؟ فالتفت إليه، فلما عرف أنه النبي ﷺ جعل يلزق ظهره بصدره، فقال رسول الله ﷺ: «من يشتري هذا العبد»؟ فقال زاهر: تجدني يا رسول الله كاسدا، (فمن سوف يشتريني؟) قال: «لكنك عند الله لست بكاسد»، أو قال ﷺ: «بل أنت عند الله غال».

لقد ذكر حضرة المصلح الموعود ﷺ هذا الحدث كالتالي: "كان لرسول الله ﷺ صحابيٌّ شديد القبح بسبب عيب خلقيّ، (أي لم يكن شكله جيدا) وكان شديد الفقر أيضا. كان جسده وثيابه ملطخَين بالتراب، وكان يتعرق بشدة في تلك الحالة، وهو يتجول في السوق يبيع شيئًا من متاع غيره. لكن في هذا الصحابي كانت صفةٌ لها قيمة في قلب حضرته ﷺ، فكان يقدره كثيرا. وفي هذه الحالة نفسها، حين كان يتأفف من نفسه إذ كان يرى نفسه ملطخا بالعرق والتراب، جاء النبي ﷺ من خلفه، وكما يلعب مع الأطفال، غطّى عينيه بيديه. فجسَّه الصحابيُّ فعرف أنها يدا رسول الله ﷺ، لأن جسد النبي ﷺ كان خاليًا من الشعر تقريبًا أو قليل الشعر جدًّا، وكان جسده ناعمًا للغاية. فبدأ الصحابي يحتك بجسده بحبٍّ بجسد النبي ﷺ، حتى اتسخ جسد النبي ﷺ وثيابه أيضا، لكن النبي ﷺ لم يتضجر من ذلك مطلقا. ثم وضع النبي ﷺ يده عليه وقال: "هذا عبدي، فهل من مشترٍ؟" فاغرورقت عينا الصحابي بالدموع، وقال: "يا سيدي، هذا متاعٌ لا نفع فيه ولا قيمة له، فمن يشتريه؟" فقال النبي ﷺ: كلا، إنه عند الله عظيم القيمة." (خطب محمود، ج٣)

يصف الحسن بن علي رضي الله عنهما أخلاق النبي ﷺ الرفيعة وتواضعه مع الناس ومهابته، فيقول: سألت خالي هند بن أبي هالة، وكان وصافا عن حلية النبي ﷺ، وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئا، فقال: كان رسول الله ﷺ فخما مفخما، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، فذكر الحديث بطوله ورسم التفصيل. قال الحسن: فكتمتها الحسين زمانا، ثم حدثته فوجدته قد سبقني إليه. فسأله عما سألتُه عنه، ووجدته قد سأل أباه عن مدخله وعن مخرجه وشكله، فلم يدع منه شيئا.

قال الحسين: فسألتُ أبي عن دخول رسول الله ﷺ، فقال: كان إذا أوى النبي ﷺ إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء: (كانت الأمور السابقة متعلقة بالخارج ولما سأل عن أمور تتعلق بالبيت قال) جزءا لله عز وجل، وجزءا لأهله، وجزءا لنفسه. ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس، فيرد ذلك بالخاصة على العامة، ولا يدخر عنهم شيئا. وكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه، وقسمه على قدر فضلهم في الدين؛ فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما يصلحهم والأمة من مساءلتهم عنه وإخبارهم بالذي ينبغي لهم. ويقول ﷺ: "ليبلغ الشاهد منكم الغائب، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغها؛ فإنه من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة. (وفيه درس للمسؤولين في الجماعة الذين تعينوا في أماكن مختلفة أن يبلّغوا المركز أمور المحتاجين)

لا يذكر عنده إلا ذلك، ولا يقبل من أحد غيره. يدخلون روادا[٣] ولا يفترقون إلا عن ذواق[٤]، ويخرجون أدلة يعني على الخير".

قال (الإمام الحسين): فسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه؟ قال: كان رسول الله ﷺ يخزن لسانه إلا فيما يعنيه، ويؤلفهم ولا ينفرهم، ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم. ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره وخلقه. (كان إذا حذَّر من شخصٍ يشكّ فيه، لم يُغيِّر سلوكه معه، بل كان يُعامل الجميع بحسن الخلق، غير أنه يأخذ بالحذر عند الحاجة؛ فالدنيا لا تخلو ممن يُشكّ في أمرهم.) ويتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس. ويحسن الحسن ويقويه، ويقبح القبيح ويوهيه. معتدل الأمر غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا. لكل حال عنده عتاد، لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه. الذين يلونه من الناس خيارهم، أفضلهم عنده أعمّهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة. (أفضل الناس منزلةً من كان أكثر مواساةً للناس، وأعظمَ عونًا لهم، وقد كان قريبًا من الرسول ﷺ، وكان النبي ﷺ يحبه.)

قال (الإمام الحسين): فسألته رضي الله عنه عن مجلسه ﷺ، فقال: "كان رسول الله ﷺ لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك يعطي كل جلسائه بنصيبه، لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه. من جالسه أو فاوضه في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول. (إذا جاءه محتاج كان يسدد حاجته وإن لم يستطع فكان يرد بغاية من اللطف) قد وسع الناس بسطه وخلقه، فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق سواء. مجلسه مجلس علم وحلم وحياء وأمانة وصبر، لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن[٥] فيه الحرم، ولا تثنى فلتاته[٦]. متعادلين، بل كانوا يتفاضلون فيه بالتقوى، (اليوم يعيب الناس بعضهم بعضا في المجالس بينما لم يكن ذلك يحدث في مجلس النبي ﷺ) متواضعين. يوقرون فيه الكبير، ويرحمون فيه الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب. (كانوا لا يُهملون الغريب إذا جاءهم، بل كانوا يهتمون به أيضًا) (شمائل النبي ﷺ باب ما جاء في تواضع رسول الله ﷺ)

قال المسيح الموعود عليه السلام: "إن المتفانين في رضا الله ﷻ لا يحبون أن يعطَوا أي درجة أو إمامةً فهم يحبون الانطواء والانعزال والاستمتاع بالعبادة في الخلوة أكثر من هذه المناصب، لكن الله يُظهرهم لصالح الخلق بإصرار وبقوة ويبعثهم. فكان نبيُّنا ﷺ هو الآخر يقيم في غار ولم يكن يريد قط أن يعرفه أحد ويطَّلع على

---

[٣] رواد : طالبين العلم وملتمسين الحكم.

[٤] ذواق : ضرب الذواق مثلا لما ينالون عنده من الخير.

[٥] لا تؤبن فيه الحرم : لا تذكر فيه الحرم بقبيح.

[٦] الفلتات : الزلات أي لم تكن في مجلسه زلات فتحكى.

مكانه، لكن الله ﷻ أخرجه أخيرًا وكلفه بهداية الخلق. كان آلاف الشعراء يأتون النبيَّ ﷺ وينشدون الشعر في مدحه لكنه لعينٌ ذلك القلب الذي يفكر أنه ﷺ كان يُعجَب بذلك المدح، كلا، بل كان يعدّه كالجيفة، إنما المدح والثناء ينزل من السماء، فهؤلاء الناس يكونون غارقين في الحب الذاتي، ولا يبالون بمدح أهل الدنيا وثنائهم أيما مبالاة. ففي هذه المكانة يمدحهم ويثني عليهم من السماء بنفسه". (الملفوظات ج٤)

ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام: "جاء مسيحي لزيارة نبينا ﷺ فأكرمه النبي ﷺ وضيَّفه كثيرا، وكان الضيف جائعا كثيرا فأطعمه النبي ﷺ كثيرا حتى امتلأ بطنه كثيرًا. ثم قدم له النبي ﷺ لحافه، فلما نام الضيف شعر بحاجة الى التبرز بشدة ولم يسيطر على نفسه فتبرز في الفراش، فلما أصبح فكَّر أنه سيُكرَه تصرفُه هذا، لذا خرج خلسة بدافع الخجل. فلما رأى الصحابة سريره أخبروا النبي ﷺ أن المسيحي وسَّخ اللحاف بالإسهال. فقال لهم النبي ﷺ أحضِروه لي لكي أغسله، فقالوا له لماذا تتحمل العناء؟ فنحن حاضرون سنغسله. فقال لهم رسول الله ﷺ هذا عملي أنا لأنه كان ضيفي ثم نهض وطلب الماء وبدأ يغسله. فغسل ﷺ بكل تواضع نجاسة تركها الضيف. أما ذلك المسيحي فحين ابتعد ميلا تقريبا تذكر أنه نسي صليبه الذهبي على السرير، فعاد ليأخذه، ورأى النبي ﷺ يغسل الفراش بيده، فندم وقال لو واجهت أنا هذا الموقف لما غسلتُه قط، ففكّر أن هذا يبيّن أن الرجل المتواضع لهذه الدرجة هو من الله، فأسلم نظرا إلى أسوته ﷺ".

يقول المصلح الموعود رضي الله عنه في تواضع النبي ﷺ الذي يترشح من وقائع الوحي الأول النازل عليه ﷺ:

لقد نزل أول وحي في غار حراء حيث رأى النبي ﷺ جبريلَ الذي قال له: ﴿اقْرَأْ﴾ فقال ﷺ في الجواب: "ما أنا بقارئ"، أي أرجو ألا أُحمَّل هذا الحِمل لأنه لم يكن أمامه حينذاك كتاب كان عليه أن يقرأه، بل كان عليه أن يعيد ما كان يقول له جبريل. وكان النبي ﷺ قادرا على ذلك، ولكنه أبدى التواضع. ولكن لما كان الله تعالى قد اصطفاه لهذا العمل لذا طُلب منه مرارا أن يقرأ حتى قرأه أخيرا عندما طُلب منه ذلك في المرة الثالثة. فكان ما قرأه: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ...﴾.

وقد كتب المصلح الموعود رضي الله عنه في السياق نفسه في كتابه "التفسير الكبير" في تفسير سورة الكوثر:

لما نزل الوحي على النبي ﷺ تصرف بتواضع لا مثيل له. إننا نرى أن بعض الناس إذا تلقَّى إلهاما أو رأى رؤيا، سارع إلى الآخرين ليخبرهم بأنه قد تلقى وحيًا كذا أو رأى رؤيا كذا، أما النبي ﷺ فلما جاءه جبريل وقال له: "اقرأْ"، أجاب: ما أنا بقارئ، وقال ذلك ثلاثا، ولكن لما رأى ﷺ أن الله تعالى يريد ذلك منه في كل حال، استجاب لأمره بشجاعة كبيرة، فلم يقل كما قال موسى عليه السلام: ربِّ أعطِني وزيرا مساعدا، بل تقدّم وحمل هذه الأمانة وحده دون أن يسأل الله تعالى أي مساعد.

يقول المصلح الموعود رضي الله عنه أيضا: ومما يدلّ على تواضعه ﷺ الجمّ أنه ذهب مرة لعيادة أنصاري، وعندما أراد العودة من عنده قدَّم له الأنصاري فرسًا ليركبه إلى البيت، وأمر ابنه أن يرافقه ﷺ لعله يجد صعوبة في البحث عن شخص آخر ليرافقه، كما كان من المفروض أن يُعاد الفرس أيضا. وبعد قليل رجع ابنه، فقال

له: لقد بعثتُك مع النبي ﷺ لتقوم بالحراسة أيضا في الطريق ولكيلا يجفل الفرس، فلماذا رجعتَ؟ فقال ابنه: لقد رجعتُ مضطرا، لأن النبي ﷺ عندما خرج أمرني بالركوب وراءه، فاعتذرت إليه لأن فيه إساءة إليه ﷺ، فقال لي: إذن، فإني لا أحتمل أن تمشي وأنا راكب، فإما أن تركب معي أو ترجع، فرجعتُ. (أي استحسن الابن أن يرجع فانطلق النبي ﷺ وحده راكبا الفرس)

هناك رواية عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ نَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ لَوِ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً فَقَالَ: "مَا لِي وَلِلدُّنْيَا مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا".

وفي صحيح البخاري رواية عن عمر ﷺ أنه أتى النبي ﷺ وهو في الطابق العلوي، وَإِنَّهُ لَعَلَى حَصِيرٍ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ شَيْءٌ وَتَحْتَ رَأْسِهِ وِسَادَةٌ مِنْ أَدَمٍ[٧] حَشْوُهَا لِيفٌ وَإِنَّ عِنْدَ رِجْلَيْهِ قَرَظًا[٨] مَصْبُوبًا وَعِنْدَ رَأْسِهِ أَهَبٌ[٩] مُعَلَّقَةٌ فَرَأَيْتُ أَثَرَ الْحَصِيرِ فِي جَنْبِهِ فَبَكَيْتُ فَقَالَ: "مَا يُبْكِيكَ؟" فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ كِسْرَى وَقَيْصَرَ فِيمَا هُمَا فِيهِ وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ! فَقَالَ: "أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمْ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةُ".

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في بيان هذا الحادث:

"فيما يتعلق باستمتاع النبي ﷺ من الدنيا فيمكن الاطلاع عليه من رواية جاء فيها أن عمر ﷺ ذهب ذات مرة لزيارته وأرسل طفلا يستأذنه للدخول. كان النبي ﷺ مستلقيا على حصير فجلس عندما دخل عليه عمر. فشاهد عمر ﷺ أنه لا يوجد في البيت شيء ولا يوجد فيه أسباب الزينة غير أن هناك سيفا معلَّقا على جدار وحصيرا كان ﷺ مستلقيا عليه وارتسمت آثاره على ظهره. فبكى عمر ﷺ لهذا المشهد. سأله النبي ﷺ: ما يبكيك يا عمر؟ فقال: إن قيصر وكسرى يملكان أسباب الرفاهية والتنعُّم كلها وأنت في هذه الحالة مع أنك رسول الله وسيد العالمَين! قال ﷺ: مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ يركب جمله ويسافر إلى غايته في الصحراء في الحر الشديد، ويستظل تحت شجرة بسبب شدة الحر وعندما يجف عرقه قليلا يتابع سفره".

كان النبي ﷺ يعامل ذوي الأخلاق السيئة أيضا باللين والتواضع دائما.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا تَقَاضَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَغْلَظَ لَهُ فَهَمَّ أَصْحَابُهُ فَقَالَ: "دَعُوهُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا (أي عليّ تسديد الدَّين، وله الحق في المقال) وَاشْتَرُوا لَهُ بَعِيرًا فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ". قَالُوا: لَا نَجِدُ إِلَّا أَفْضَلَ مِنْ سِنِّهِ قَالَ: "اشْتَرُوهُ فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ فَإِنَّ خَيْرَكُمْ أحسنكم قَضَاء".

---

[٧] الأدم : الجلد المدبوغ.

[٨] القرظ: ورق شجر يُدبغ به.

[٩] أَهَب: جمع إهاب وهو الجلد ما لم يدبغ.

نرى أحيانا أن الشجارات تندلع لأن بعض الناس لا يدفعون القروض كما يجب فتنشأ الشجارات عندما يطلبون التقليل منها. وإذا استوعبنا الدرس المذكور في هذا الحديث لتلاشت كثير من الخصومات الدائرة بين الناس.

كذلك رُوي حادث عن تواضعه ﷺ جاء فيه أنه لما دخل رسول الله ﷺ المسجدَ الحرام خرج أبو بكر ﷺ حتى جاء بأبيه يقوده فلما رآه رسول الله ﷺ قال: "هلا تركت الشيخ في بيته حتى آتيه"؟ فقال: يمشي هو إليك يا رسول الله أحق من أن تمشي إليه وأحله بين يديه ثم مسح ﷺ على صدره فقال: "أسلم تسلم" فأسلم أبو قحافة.

هناك رواية عن عيشه ﷺ عيشا بسيطا في البيت: عَنِ الْحَسَنِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ لَا يُغْلَقُ دُونَهُ الْأَبْوَابُ وَلَا يَقُومُ دُونَهُ الْحَجَبَةُ، وَلَا يُغْدَى عَلَيْهِ بِالْجِفَانِ وَلَا يُرَاحُ عَلَيْهِ بِهَا. (أي لم تكن تُقدَّم له أطعمة شهية) ومَنْ أَرَادَ أَنْ يَلْقَى رَسُولَ اللهِ ﷺ لَقِيَهُ بسهولة، وكَانَ يَجْلِسُ بِالْأَرْضِ، وَيُوضَعُ طَعَامُهُ بِالْأَرْضِ، وَيَلْبَسُ الْغَلِيظَ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ، وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ، وَيَلْعَقُ وَاللهِ يَدَهُ (أي لتنظيفها بعد الأكل).

هناك حديث في صحيح البخاري بشأن لعق يده وأصابعه بعد الطعام، وهو أن النبي ﷺ قال ينبغي للإنسان بعد الأكل أن يلعق أصابعه قبل أن يغسل يديه.

وقد كتب حضرة سيد زين العابدين ولي الله شاه في شرحه للبخاري تعليقا على لعق الأصابع: لقد قال حضرة الدكتور محمد إسماعيل: لقد جرب جميع الحكماء، وأجمع كل الأطباء على أن في أصابع يد الإنسان قوة لمسٍ خاصة. فمثلاً، إذا أردنا أن نعرف نعومة قطعة قماش، فلا نستطيع ذلك إلا بأصابع اليد، مع أن قوة اللمس موجودة في جميع الجسم. ولو حاولنا تقدير النعومة بأطراف القدم مثلاً، فلن ننجح في ذلك كل النجاح. هناك تأثير كهربائي خاص يقتصر على اليد، بل على الأصابع تحديدًا. ولأصابع اليد علاقة خاصة بالعين، التي هي أداة التركيز، لذلك نجد أن الذين يقومون بالمسمرية (أي التأثير بالنظر) يركّزون أعينهم كثيرًا نحو أصابع الشخص الذي يمارسون عليه تركيزهم، ويتمكنون من إيصال تأثير عيونهم إلى هذا الشخص عبر أصابعه بطريقة مؤثرة، ويحققون غرضهم. وكذلك فإن الأدوية التي تُعَدّ بأيدي الإنسان تكون أكثر نفعًا من تلك التي تُعَدّ بواسطة الآلات. (في هذا العصر يُصنع كل شيء بالآلات والماكينات، ولكن في ذلك العصر كان الأطباء وأيضا الحكماء يقولون نفس هذا الكلام. أما الدكتور إسماعيل المحترم فكان عالي الثقافة وجرّاحا ماهرًا. على كل حال يقول:)

وبناء على هذا المبدأ، فعندما يرفع الإنسان اللقمة بأصابعه للأكل تقع نظرته على رؤوس الأصابع في كل مرة،

فإذا لعق أصابعه بعد الأكل قبْل غسلها بالماء أو مسحها بمنديل ينتقل هذا التأثير إلى معدته بواسطة الدهن والرطوبة الملتصقة بأصابعه، فيساعد هذا معدته على الهضم فيهضم الطعام سريعا. (هكذا كانت

نظرية الأطباء والحكماء عندها، أما اليوم فلا ندري هل متفقون فيها أم لا، غير أن الرسول ﷺ قال إن لعق الأصابع بعد الأكل نافع)

وورد أيضا في الرواية الواردة في البخاري: "فَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ حَتَّى يَلْعَقَهَا أَوْ يُلْعِقَهَا". وقد كتب بعض الشارحين أن المراد من كلمة «يُلْعِقَها» أن يطلب لعقه أصابعه مِن خادمه أو ولده أو مِن شخص لا يعاف لعق أصابعه.

أي حاجة للإنسان أن يطلب من غيره أن يلعق أصابعه هو بعد الطعام، إذ يمكنه أن يلعقها بنفسه، ولكن انظروا كيف شَطَّ هؤلاء عند الشرح شططا. الحق أن طلب المرء غيرَه أن يلعق أصابعه بعد الأكل أمرٌ يبدو غيرَ مناسب ومنافيا لشرف الإنسانية، وإنما يمكن أن يكون المراد من ذلك أنه ينبغي للمرء بعد الأكل أن يلعق أصابعه بنفسه لغسلها، وأن يُعلِّم مَن هم في كفالته وتربيته أن يلعقوا أصابعهم أيضًا، حتى ينالوا تلك المنافع الطبية وغيرَها من المقاصد الكامنة في قول النبي ﷺ هذا.

وكان النبي ﷺ لا يعاف تنظيف المسجد أيضا. فعن يعقوب بن زيد أن النبي ﷺ كان يَتْبَعُ غبارَ المسجد بجريدة، أي كان يربط على رأس هذه الجريدة قماشا وما شاكلَ ذلك لإزالة الغبار.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام جلس إلى رسول الله ﷺ، فنظر (ﷺ) إلى السماء فإذا ملَكٌ ينزل، فقال جبريل: إن هذا ملَكٌ ما نزل منذ خُلِقَ قبْلَ الساعة. فلما نزل قال: يا محمد إن الله تعالى يخيّرك بين أن تكون نبيا عبدا أو تكون نبيا ملِكا. فأشار جبريل إلى رسول الله ﷺ أن تواضَعْ لربك. فقال رسول الله ﷺ: "بل أكون نبيا عبدا".

الحق أنه هكذا كان النبي ﷺ بفطرته، فحتى ولو لم يشرْ عليه جبريل لقال هكذا، إذ كان ينصح الآخرين دائما بالتواضع، وكان يخبر أتباعه إنما أنا بشر رسول. على كل حال، إنما المراد من هذه الرواية أن النبي ﷺ قال في ذلك الموقف متواضعا إني لا أريد أن أكون ملِكا رسولا، بل أريد أن أكون عبدا متواضعا لله تعالى ورسولا. وهذا هو ما ورد أيضا في الشهادة التي ننطق بها.

أمَا وكيف يجب أن يكون المسلم الحقيقي متواضعا؟ فعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ».

وقد قال المسيح الموعود عليه السلام الخادمُ الصادق للنبي ﷺ وهو ينصحنا:

"يجب التحلّي بالتواضع، وتعلُّمُ التواضع ليس صعبًا، بل ليست هناك حاجة لتعلُّمه، إذ ليس الإنسان إلا كائنا عاجزا ومتواضعا، ولم يُخلَق إلا للتواضع: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. التكبر وما شابهه من أمور كلها مصطنعة، ولو تخلى المرء عن هذا التصنع فلن يُرى في فطرته إلا التواضع فقط".

وقد قال المسيح الموعود عليه السلام ناصحا لنا ومبينًا عظمة تواضع النبي ﷺ: "إن الله تعالى رحيم وكريم، ويربّي الإنسان في كل مجال، ويرحمه، وبسبب رحمته هذه يُرسل أنبياءه ورسله لينجّوا الناس من حياة ملوّثة

بالذنوب. ولكن الاستكبار مرض خطير جدا، ومَن أصابه الكِبر كان له بمنزلة الموت الروحاني. أعلَم علْمَ اليقين أن هذا المرض أفتَكُ من القتل. المتكبر يصبح أخا الشيطان، لأن الاستكبار هو الذي أخزى الشيطان وأذلّه. فالشرط اللازم للمؤمن ألا يكون مستكبرا، بل عليه أن يتحلى بالتواضع والانكسار واللين، وهذه هي الميزة البارزة للمبعوثين من الله تعالى، فإنهم يتحلون بمنتهى التواضع، وكان رسول الله ﷺ أكثرهم تواضعا. وسُئل خادم للنبي ﷺ عن معاملته له؟ قال: الحق إنه يخدمني أكثرَ مما أخدمه أنا. اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد وبارك وسلّم". هكذا كانت أسوته ﷺ في سمو الأخلاق والتواضع. والحق أن الخدام هم أكثرُ مَن يكونون مع المرء وحوله من بين أقاربه عادةً، لذا إذا أُريدَ الاطلّاع على تواضع المرء وانكساره وحلمه فيمكن معرفة ذلك منهم. هناك رجال ونساء إذا صدر من الخادم خطأ بسيط، كنقص شيء في الشاي مثلا، فلا يلبثون أن يبدأوا بكيل الشتائم له، أو يحملوا السوط ويضربوه، أو إذا زاد الملح في المرق مثلا تحلّ الآفة بالخدام المساكين. الفقراء الآخرون ممن يتسولون فإنهم معتادون على الجوع ويمكن أن يعيشوا على خبز جاف، ولكن الخدام فأصحابهم لا يبالون بهم مع علمهم بحالهم. الفقراء الآخرون يعرّضون المرء للامتحان حين يأتونه سائلين. عندما يأتي الفقيرُ إلى الغنيّ ليسأله، فإنما يضعه في موضع الابتلاء. فحقيقةُ الإحسان إنما تكون في تلبية احتياجاتهم. والله تعالى هو خالقُ كلِّ ذرة، ولا يستطيع أحدٌ أن يُقابله أو يُعارضه. ومن خلال معاملة الفقراء يُعرف مقدار ما عند الإنسان من خشية الله أو عدمها، ومدى نصيبه منها. فخشيةُ الله تظهر في كيفية التعامل مع الفقراء، أما حسنُ المعاملة مع الأغنياء فلا يدلُّ على ذلك.

نسأل الله تعالى أن يوفّقنا للسير على تعليم سيدنا محمد ﷺ وسنته، وأن يرزقنا سلوك طرق التواضع.

وبعد الصلاة سأُصلّي أيضًا صلاة الجنازة الغائبة على المرحوم ملك داود محمود ابن السيد محمد إسحاق، من وهاري والمقيم في كراتشي. قد تُوفي قبل أيام، إنا لله وإنا إليه راجعون. وبفضل الله تعالى كان من الموصين. وكان جدُّه السيد محمد دين من سكان قرية برتان والا في منطقة سيالكوت، وقد بايع على يد سيدنا الخليفة الثاني للمسيح الموعود سنة ١٩١٤م. ثم وُفِّق المرحوم ملك داود لخدمة الجماعة على المستوى المحلي، حيث خدم رئيسًا للجماعة وسكرتيرًا للمال، وكذلك في مجلس أنصار الله.

وقد خلّف وراءه ثلاث بنات وأربعة أبناء. ومن أبنائه السيد محمد أكمل وهو داعية للجماعة في جامبيا، حيث يوفَّق هناك للخدمة، ولم يتمكن بسبب وجوده في ميدان العمل من حضور جنازة والده.

ويكتب هذا الابن، الداعية محمد أكمل، قائلاً:

كان والدي إنسانًا بشوشًا، مبتسما دائما، حيَّ القلب. وكان شديد الشغف بالتبليغ والدعوة. وحتى عندما كان يذهب إلى أراضيه في مدينة السند، كان يبحث هناك أيضًا عن فرصٍ للدعوة إلى الله وكان يبلّغ الناس. وقبل أن تُسنَّ القوانين المشددة ضد الجماعة في باكستان، كان يحتفظ دائمًا بالكتيبات الدعوية معه، ولم يكن يترك التبليغ أبدًا، وقد أثَّر بذلك في كثير من الناس.

وكان شديد الكرم وحسن الضيافة، فأيُّ ضيفٍ يأتيه، سواء كان ضيفًا مركزيًا أو غيره، كان يُكرمه خير إكرام. وقد جعل في بيته مركزًا للصلاة قبل أن يُنشأ المركز الرسمي، وكانت تُقام فيه الصلوات جماعةً بانتظام. وبعد صلاة الفجر كان يتلو القرآن الكريم بصوت مرتفع. وكان أناسٌ من جماعات أخرى يأتون كذلك لأداء صلاة الجمعة في ذلك المركز.

وكان يقول عندما يذهب إلى حقوله وأراضيه: ''إني أذهب إلى حقولي وأصلي في كل زاويةٍ منها نوافل، ولذلك يضع الله تعالى البركة في محصولي، فيصبح ضعف محصول الآخرين.''

وكذلك فإن البيت الذي بناه في قريته، قال لأولاده: ''أريد أن أهب هذا البيت كله للجماعة ليصبح مركزًا لها.'' ثم قام بالفعل بتقديمه للجماعة.

وكان من أبرز صفاته حسنُ الضيافة، وخدمةُ الناس، والطاعةُ الكاملة للجماعة، والحرصُ على الاستماع إلى الخطب. نسأل الله تعالى أن يغفر له ويرحمه.

****